

دلائل الإعجاز

وتصوير الذي هو الحقُّ عندهم ما استطعناه في نفس النظم لأزّال ملكنا في ذلك أن
نظّرهم إلى أن يعلموا صِحّة ما نقول وليس الأمر في هذا كذلك فليس الداء فيه
بالهين . ولا هو بحيث إذا رمت العلاج منه وجدت الإمكان فيه مع كلِّ أحدٍ مُسعفاً
والسعي مُنجحاً لأنّ المزاي التي تحتاج أن تُعْلِمَهم مكانها وتصور لهم شأنها أمورٌ
خفية ومعانٍ روحانية أنت لا تستطيع أن تنبه السامع لها وتحدث له علماً بها حتّى
يكون مهياً لإدراكها وتكون فيه طبيعة قابلة لها ويكون له ذوقٌ وقريحة يجد لهما في
نفسه إحساساً بأنّ من شأن هذه الوجوه والفروق أن تعرض فيها المزيّة على الجُملة
وممّن إذا تصفّح الكلام وتَدبّر الشعر فرّق بين موقع شيء منها وشيءٍ وممن إذا
أنشدته قوله - السريع - :
(لي منك ما للنّاس كلّهم ... نظّر وتسلّم على الطُّرُق) .
وقول البحري - الكامل - :
(وسأستقلّ لك الدموع صيّابة ... ولوّ أنّ درجّة لي عليك دموع) .
وقوله - الطويل - :
(رأت مكّنات الشّيب فابتسمت لها ... وقالت نجوم لو طلّعن بأسعدٍ) .
وقول أبي نواس - البسيط - :
(ركب تساقوا على الأكوار بينهم ... كأس الكرى فانتشّى المَسْقِيّ والساقى) .
(كأنّ أعناقهم والنوم واضعها ... على المناكب لم تُعمدْ بأعناق)